Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الراح ، ويمتعون أسماعهم بأصوات المغنين والمغنيات ، وينتظرون أن تتساقط عليهم طيور الدّراج .

والبحترى فى هذا النموذج لا يبتكر فى وصف مشهد مألوف ، ولكنه يقدم ابتداء على تصوير منظر جديد ، لم يألفه سابقوه ، ولم يحرّك معاصريه ، بقدر ما حرّكه ؛ فجديده ينحصر فى استجابته لنداء نفسه التى تتأثر بمظاهر الحضارة ، فتنفعل بها ، وتسعى إلى تصويرها . وهذا القول يصدق على وصفه بركة المتوكل ، وحير الوحوش ، والمظاهر الأخرى لتقدم العمران فى عصره .

ومن جديد البحترى وصف المعركة البحرية بين العباسيين والروم ، وعلى الرغم من جدّة الموضوع فى الشعر العربى ، فقد استطاع أن يصور هذا اللون الجديد من المعارك تصويراً بديعاً ، لم يسبق إليه ، وبخاصة حين يشير إلى أن هذه المعركة الطاحنة لم تخلّف غباراً تعبث به الريح ، لأنها تدور فوق صفحة الماء ، كما أن جثث القتلى لا تجد أرضاً تستقر عليها ، لأن مياه البحر تبتلعها ، فلا تترك لها أثراً ، يقول البحترى :

عَلى حينَ لا نَقْعٌ يُطَوِّحُهُ الصَّبا ولا أَرضَ تُلْفى للصَّريعِ المُقَطَّرِ(١٣٥)

وقد ألفنا أن نرى فى صورة المعارك عند شعرائنا الأقدمين غباراً كثيفاً ، تثيره حوافر خيول المتحاربين ، وقتلى تتناثر جثثهم فوق ساحة المعركة التى تحلق فى سمائها عصائب الطير .

وثمة صورة أخرى بديعة لفعل سلاح جديد هو قاذفات اللهب التى تحكم إصابة الهدف ، ولا تتحول عن الأعداء إلا بعد أن يتصاعد الدخان المشبع برائحة لحومهم المحترقة ، يقول الشاعر :

إذا رَشَقُوا بالنَّارِ لم يكُ رشقُهُمْ لِيُقْلِعَ إلاَّ عن شِواءٍ مُقَتَّرِ(١٣٦)

ولعل أهم ما يعنينا فى هذه القصيدة موضوعها الجديد ، ومن بعد ما تضمنت من صور غير تقليدية ، مع أنها لا تنجو من الاتكاء على بعض الصور والتشبيهات التقليدية فى الشعر العربى القديم ، مثل تشبيه ضجيج رماح المحاربين بصوت الجمل المسنّ .

---

(١٣٥) المصدر نفسه ٢ : ٩٨٥ .

(١٣٦) المصدر نفسه ٢ : ٩٨٤ .